

التداعيات الاجتماعية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية : دراسة وصفية تحليلية

ولاء غضبان خليف حمزة

أ.د ثناء محمد صالح

جامعة بغداد – كلية الآداب

thanaamohmed@coart.uobaghdad.edu.iq

walaaghaddban1101a@coart.uobaghdad.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٩/١٤

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٩/٢٩

المستخلص:

يتمحور هذا البحث حول تحليل التداعيات الاجتماعية والنفسية والقيمية المركبة التي فرضتها الحروب الهجينة على الأسرة العراقية بوصفها النواة الأساسية للبناء المجتمعي، إذ لم تعد النزاعات المعاصرة تقتصر على المواجهات العسكرية المباشرة، بل تحولت إلى استراتيجية استنزافية شاملة توظف أدوات ضغط ناعمة وخشنة كالتهديد القسري، والإرهاك الاقتصادي، والحرب المعلوماتية، والصدمات النفسية المتلاحقة، مما أحدث زلزالاً بنيوياً أربك الاستقرار الأسري وفرض إعادة صياغة قسرية للأدوار والعلاقات الداخلية .

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك هذه التداعيات عبر ثلاثة مستويات متداخلة أولاً المستوى البنيوي والديموغرافي الذي رصد التفكك الأسري كعملية تراكمية ممتدة، والتغيرات الحجمية كالزيادة المطردة في نسبة الأسر التي ترأسها النساء، فضلاً عن تفتت الروابط المكانية والقربانية بفعل النزوح المزمّن ومناطق اللجوء، مما أدى إلى نشوء نمط هجين يُعرف بالأسر المشطورة التي تُدار علاقاتها عن بُعد عبر الشبكات الرقمية، ثانياً المستوى القيمي والثقافي الذي سلط الضوء على تراجع السلطة الوالدية والوظيفة التربوية أمام ضغوط البقاء المعيشي من جهة، والانكشاف المفرط للأبناء على الإعلام الرقمي والحرب المعلوماتية من جهة أخرى، مما عمّق صراع القيم بين الأجيال واتساع الفجوة المعرفية بين الآباء والأبناء، ثالثاً المستوى النفسي والاجتماعي الذي حلل مشاعر الخوف المزمّن والقلق الوجودي وانعدام الأمان، إلى جانب امتداد الصدمات الاجتماعية عابرة الأجيال وانعكاس الاضطرابات النفسية للوالدين على طبيعة التعامل والتقارب الوجداني داخل الأسرة .

تنتهي الدراسة إلى أن مواجهة آثار الحروب الهجينة تتطلب الخروج من الأطر الكلاسيكية نحو استراتيجية شمولية، وتوصي بالتمكين الاقتصادي للأسر الهشة، وتأسيس مراكز متخصصة للإرشاد والدعم النفسي، وتفعيل آليات المصالحة المجتمعية لتفكيك الوصم الاجتماعي، فضلاً عن إطلاق مبادرات وطنية للتربية الرقمية لحماية وعي الشباب والأبناء .

الكلمات المفتاحية: الحروب الهجينة، الأسرة العراقية، التفكك الأسري، صراع القيم بين الأجيال، الحرب المعلوماتية، الصدمات الاجتماعية عبر الأجيال.

Social Implications of Hybrid Warfare on the Iraqi Family: A Descriptive Analytical Study

Walaa Ghadhbhan Khlaif Hamzah

Prof. Dr. Thana'a Muhammad Salih

University of Baghdad – College of Arts

walaaghaddban1101a@coart.uobaghdad.edu.iq

thanaamohmed@coart.uobaghdad.edu.iq

Date received: 14/9/2026

Acceptance date: 29/9/2026

Abstract :

This descriptive and analytical study explores the complex socio-psychological impacts of hybrid warfare on Iraqi families. Moving beyond conventional military encounters, hybrid conflicts utilize a combination of hard and soft pressures—such as forced displacement, economic depletion, psychological trauma, and digital propaganda—which systematically destabilize the structural, value-based, and psychological foundations of the family unit.

The research analyzes these implications across three interconnected levels. At the structural and demographic level, it examines family breakdown as a cumulative process, alongside demographic shifts such as the rise of female-headed households and geographically split families relying on digital communication due to chronic displacement and no-return zones. At the value and cultural level, it investigates the erosion of parental authority, the influence of digital disinformation and information warfare on adolescents, and the widening generational value gap driven by digital exposure and economic hardship. At the socio-psychological level, it addresses chronic existential anxiety, intergenerational trauma, and altered parenting dynamics characterized by emotional withdrawal or harsh behavior.

The findings demonstrate that hybrid warfare causes cumulative family destabilization, fragmented household structures, and deep generational value conflicts. The study concludes by emphasizing the necessity of moving beyond temporary relief toward an integrated socio-security strategy. Key recommendations include sustainable economic empowerment for vulnerable households, specialized psycho-social rehabilitation centers, community reconciliation mechanisms to dismantle social stigma, and national digital literacy programs.

Keywords: Hybrid Warfare, Iraqi Family, Structural Disintegration, Generational Value Gap, Information Warfare, Intergenerational Trauma.

المقدمة (Introduction) : تُعدّ التداعيات الاجتماعية الناجمة عن الحروب الهجينة من أشدّ الإشكاليات السوسولوجية تعقيداً وضراوة في الواقع العراقي المعاصر؛ إذ لم تعد الحرب في صورتها الحديثة مجرد مواجهة عسكرية كلاسيكية تقتصر آثارها على الجبهات الميدانية الخارجية، بل تحولت إلى استراتيجية استنزافية شاملة تتغلغل في عمق النسيج المجتمعي، لتستهدف الأسرة بوصفها الحاضنة الإنسانية الأولى والخلية الأساسية التي يقوم عليها استقرار المجتمع وبنائه .

وإن طبيعة النزاعات الهجينة — بما تحمله من أدوات ضغط ناعمة وخشنة كالتشريد القسري، وتدمير شبكات الأمان الاقتصادي، وبث الصدمات النفسية المتلاحقة، وتوظيف الحرب المعلوماتية والدعائية — قد أحدثت زلزالاً بنيوياً في وظائف الأسرة العراقية، متجاوزة الأضرار المادية المباشرة لتصل إلى إعادة صياغة منظومة الأدوار والعلاقات الداخلية قسراً، ولم يتوقف هذا التأثير عند حدود الإرباك المادي والتحويلات الديموغرافية، بل امتد ليعيد تعريف مفهوم الروابط الأسرية والقربانية، مع فرض أنماط مستحدثة من الأسر كالأسر أحادية الوالد والأسر المشطورة، فضلاً عن ظهور فئات أسرية يعزلها الوصم الاجتماعي .

وعلى الصعيد القيمي والثقافي، تزامنت ضغوط الحرب والفقر مع طغيان العولمة الرقمية والانكشاف المفرط على منصات التواصل الاجتماعي، مما خلق فجوة قيمية حادة وصراعاً مزمناً بين جيل الآباء وجيل الأبناء، وتسبب في تراجع السلطة الوالدية لصالح مصادر تأثير افتراضية بديلة، فضلاً عن ذلك ما تلقى هذه النزاعات من ظلال قائمة على البنية النفسية للأسرة؛ حيث يتحول الخوف والقلق الشديد والصدمات الاجتماعية إلى استجابات دائمة تهدد السلم الأهلي والتوافق الأسري، وتؤثر سلباً على أنماط التربية والعلاقات الوجدانية بين الأفراد .

ولتحليل هذه التداعيات ورصد آثارها العميقة بأسلوب علمي ومنهجي، يتوزع المنظور السوسولوجي في هذا البحث على ثلاثة مستويات رئيسية تتداخل وتتكامل فيما بينها لتشكل الصورة الكلية للأزمة :

المستوى البنيوي: ويتناول التفكك الأسري، وتغير حجم الأسرة وتركيبها، وآثار النزوح والهجرة .

المستوى القيمي والثقافي: ويسلط الضوء على تغير المنظومة القيمية، وتأثير الحرب المعلوماتية، وصراع القيم بين الأجيال .

المستوى النفسي والاجتماعي : ويرصد الخوف وعدم الشعور بالأمان، والصدمات الاجتماعية الممتدة، وتأثيراتها المباشرة على طبيعة العلاقات داخل الأسرة العراقية .

أولاً: مشكلة البحث وتساؤلاته (Research Problem & Questions) : شهد الواقع العراقي المعاصر تحولات دراماتيكية عميقة جراء تعاقب النزاعات والأزمات الأمنية، غير أن التحول الأكثر خطورة تمثل في الانتقال من نمط الحروب العسكرية الكلاسيكية إلى نمط الحروب الهجينة، إن هذه الحروب لم تعد تقتفي بالواجهات الميدانية المباشرة أو إلحاق الخسائر المادية على الجبهات، بل اعتمدت استراتيجية استنزافية شاملة تتغلغل في عمق البناء المجتمعي لتستهدف الأسرة العراقية بوصفها الحاضنة الإنسانية والتربوية الأولى، والخلية الأساسية المنوط بها حفظ التماسك والتوازن الاجتماعي .

وتكمن مشكلة البحث في رصد وتفكيك التداعيات الاجتماعية والنفسية والقيمية المركبة التي أحدثتها الحروب الهجينة في بنية الأسرة العراقية ووظائفها الأساسية؛ حيث أدت أدوات الضغط المتشابكة — الناعمة منها والخشنة — إلى إحداث زلزال بنيوي أربك الاستقرار الأسري، وفرض إعادة صياغة قسرية لمفهوم الأدوار والعلاقات الداخلية، ويسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي : **ما التداعيات الاجتماعية (البنيوية، القيميّة، والنفسية-الاجتماعية) للحروب الهجينة على الأسرة العراقية؟** وتتفرع منه التساؤلات الفرعية التفصيلية الآتية :

- كيف أدت الحروب الهجينة إلى تصدع البناء الأسري والعلاقات الوظيفية وتحول التفكك الأسري إلى عملية تراكمية ممتدة في المجتمع العراقي ؟

- ما أثر النزوح القسري المزمّن وظاهرة مناطق اللاعودة في قطع الروابط القرابية وبروز نمط الأسر المشطورة ؟

- ما انعكاسات الإنهاك المادي والحرب المعلوماتية الناعمة على تراجع وظيفة الأسرة العراقية في تشكيل المنظومة القيميّة لأبنائها ؟

- ما آثار الصدمات الاجتماعية الجماعية وتجارب العنف والانفصال والوصم في تعميق حالة الاغتراب وتناقل الصدمة عبر الأجيال ؟

- كيف تتعكس الاضطرابات النفسية والضغط الحاد على أساليب التعامل الوالدي والتقارب الوجداني داخل الأسرة ؟

ثانيًا: أهمية البحث (Significance of the Study) : تتبع أهمية هذا البحث من معالجته لواحدة من أكثر الإشكاليات السوسيولوجية خطورة وتأثيراً في الواقع العراقي المعاصر، والمتمثلة في استهداف الحروب الهجينة للبنية الأساسية للمجتمع وهي الأسرة، وتتجلى قيمته الأكاديمية في تقديمه مقارنة سوسيولوجية وأمنية حديثة تتناول نمطاً معقداً من النزاعات التي تتجاوز المواجهات العسكرية المباشرة لتشمل أدوات الضغط الناعمة والخشنة كالنزوح، والحرب المعلوماتية، والصدمات النفسية؛ مما يسهم في إثراء المكتبة العلمية بتحليل مستويات متداخلة تجمعت فيها الأبعاد البنوية والقيمية والنفسية .

وعلى الصعيد التطبيقي والمجتمعي، يكتسب البحث أهمية بالغة من خلال تسليط الضوء على التحولات الديموغرافية والاجتماعية المستحدثة (كارتفاع نسبة الأسر التي ترأسها النساء، وظهور الأسر المشطورة، والأسر الموصومة اجتماعياً)، حيث يوفر هذا التوصيف مادة توثيقية وقاعدة بيانات نوعية تتيح لصناع القرار والباحثين والمؤسسات الاجتماعية فهم طبيعة الأزمة ومواجهة الآثار النفسية والاجتماعية عابرة الأجيال، وصولاً إلى بناء برامج تأهيل واستجابة متخصصة تسهم في ترميم النسيج المجتمعي وإعادة تعزيز التماسك الأسري في العراق .

ثالثًا: أهداف البحث (Research Objectives) : يسعى البحث إلى تحقيق هدف رئيس تتفرع عنه مجموعة من الأهداف التفصيلية المصاغة بدقة لتطابق تساؤلات البحث :

- رصد وتحليل التداعيات الاجتماعية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية بمختلف أبعادها السوسيولوجية والنفسية .

- تشخيص التداعيات البنوية التي لحقت بالأسرة العراقية جراء الحروب الهجينة، وتحديدًا مظاهر التفكك الأسري، والتبدلات في حجم الأسرة وتركيبها، وآثار النزوح والهجرة على الروابط الأسرية .

- الكشف عن التداعيات القيمية والثقافية الناجمة عن الحرب المعلوماتية والانفتاح الرقمي، وتحديد أسباب ومظاهر صراع القيم بين جيل الآباء والأبناء داخل المحيط الأسري .

- تحليل التداعيات النفسية والاجتماعية (كالخوف المزمن، انعدام الأمان، والصدمات الاجتماعية الممتدة)، وبيان طبيعة انعكاسها على نمط التربية والعلاقات الوظيفية والوجدانية داخل الأسرة العراقية .

رابعاً : منهجية البحث (Research Methodology):

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لطبيعة موضوع البحث، الذي يتجاوز مجرد سرد ظاهرة التداعيات الاجتماعية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية إلى تفكيك وتحليل القوى والعوامل الكامنة خلفها، ويستهدف هذا المنهج تفسير العلاقة التفاعلية المركبة بين أدوات الحروب الهجينة (بأبعادها الناعمة والخشنة كالنزوح، والحرب المعلوماتية، والانكشاف الرقمي، والصدمات النفسية) وبين التصدعات والتحويلات التي تصيب البنية الأسرية، والمنظومة القيمية، والعلاقات النفسية والاجتماعية للأسرة العراقية .

كما استعان البحث بـ المنهج التحليلي السوسيولوجي في تفكيك مفهوم الحروب الهجينة وبيان آلياتها المتطورة، وتحليل مستويات أثرها العميقة ضمن السياق المجتمعي العراقي عبر ثلاثة مستويات رئيسية متداخلة (بنوية، قيمية/ ثقافية، ونفسية/ اجتماعية)، وقد أتاح هذا المنهج الوقوف على مكامن الهشاشة في البناء الأسري، ورصد التحولات الديموغرافية والوظيفية المستحدثة مقارنة بالأشكال والروابط الأسرية التقليدية .

واعتمد البحث على تحليل المصادر والمؤشرات الثانوية المتمثلة في الأدبيات والدوريات العلمية السوسيولوجية والنفسية، والتقارير الميدانية والإحصائية الصادرة عن المنظمات الدولية والأممية ذات الصلة بأوضاع النازحين والأسر والعائدين في العراق؛ وذلك بهدف بناء إطار معرفي وتحليلي متكامل يدعم الاستنتاجات والمقاربة السوسيولوجية-الأمنية المقترحة، مع التركيز على الرؤى الحديثة في علم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والدراسات الأمنية المعاصرة .

ويُصنّف هذا البحث ضمن الدراسات الوصفية التحليلية التي تركز على التحليل العلمي للمفاهيم والمؤشرات الاجتماعية والميدانية، بما ينسجم مع أهداف البحث وطبيعته .

خامساً: التحديد المفاهيمي والإجرائي (Conceptual & Operational Definition) :

إنَّ الانتقال من التوصيف التقليدي لآثار النزاعات إلى المقاربة السوسيولوجية والأمنية لبحث أثر الحروب الهجينة، يفرض ضرورة توضيح وضبط المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها هذا البحث، لذا تسعى الباحثتان في هذا المطلب إلى تحديد هذه المفاهيم، من خلال استعراض التعريفات الاصطلاحية، وصولاً إلى التعاريف الإجرائية التي تعكس حدود استخدام هذه المصطلحات داخل متن البحث، وبما يضمن تجانس مسار التحليل :

١. **الحروب الهجينة :** ظهر مصطلح الحرب الهجينة (Hybrid Warfare) أكاديمياً في مطلع الألفية الثالثة، حين وصف الباحث الأمريكيان فرانك هوفمان بأنه أسلوب القتال الذي انتهجه حزب الله في جنوب لبنان بأنه : حرب هجينة تدمج بين تكتيكات الميليشيات غير النظامية وتقنيات الجيوش النظامية في آنٍ واحد، ومنذ ذلك الحين تطوّر المفهوم ليصبح أحد أكثر المصطلحات الأمنية تداولاً في الأدبيات الاستراتيجية المعاصرة (Hoffman, F.G., 2007, p 37).

ويُعرّف مفهوم الحرب الهجينة بأنها استراتيجية صراع مركّبة تُوظّف بصورة متزامنة ومنسّقة جملةً من الأدوات والوسائل المتباينة، تشمل : القوة العسكرية النظامية وغير النظامية، والعمليات الإرهابية، والحرب الإعلامية والنفسية، والضغط الاقتصادي، وعمليات الفضاء الإلكتروني، والاختراق الاجتماعي والطائفي؛ بهدف إضعاف الدولة المستهدفة من الداخل وزعزعة تماسك مجتمعها دون الحاجة إلى مواجهة عسكرية مكشوفة (ماجد الحياي وآخرون، 2020 ص 57) .

٢. **الأسرة :** تعددت المقتربات السوسيولوجية في تعريف الأسرة؛ فقد عرّفها عالم الاجتماع أوجست كومت بأنها: الخلية الأولى أو النواة الأساسية في بناء المجتمع، والتي يركز عليها الاستقرار الاجتماعي ككل (معن خليل العمر، 2004، ص 73) .

بينما يعرفها رالف لينتون من منظور وظيفي بأنها: جماعة اجتماعية بيولوجية تقوم على أساس الزواج والقرابة، وتتولى مسؤولية التنشئة الاجتماعية للأطفال، وتوفير الحماية الاقتصادية والنفسية لأفرادها (رالف لينتون، 1964، ص 182) .

وفي سياق الأزمات الحديثة، تُعرّف الأسرة بأنها: المنظومة الاجتماعية التكيفية الخط الأول للدفاع عن أمن الأفراد، والتي تعيد تشكيل أدوارها وعلاقاتها الداخلية استجابةً للضغوط والتحويلات الخارجية (سواء الخولي، 2002، ص 45).

المبحث الأول

التداعيات البنيوية والديموغرافية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية

تشكل التداعيات البنيوية والديموغرافية أحد أخطر مظاهر الزلزال السوسولوجي الذي أحدثته الحروب الهجينة في واقع الأسرة العراقية؛ إذ لم تعد أدوات هذا النمط من الحروب تقتصر على الهجمات المباشرة، بل امتدت لتفكيك الهيكل التنظيمي والتركيبية السكانية والاجتماعية للأسرة، وتتجسد هذه التصدعات في تحول التفكك الأسري من مجرد حدث طارئ إلى عملية تراكمية ممتدة تتغذى على الإنهاك الاقتصادي والصدمات النفسية غير المعالجة، فضلاً عن إعادة رسم التركيب الحتمي والنوعي للأسر العراقية نتيجة الفقد، والوفيات، والاعتقال بين الذكور، مما أدى إلى تصاعد مطرد في نسبة الأسر التي ترأسها وتُعيّلها النساء بمفردهن. يضاف إلى ذلك ما أفرزه النزوح القسري المزمّن وظاهرة مناطق اللاعودة من تفتيت للروابط القربانية الممتدة، والانتقال الاضطراري نحو نمط هجين ومستحدث يُعرف بالأسر المشطورة، التي تُدار فيها الالتزامات والروابط الأسرية عن بُعد عبر الشبكات الرقمية والافتراضية كبديل للتفاعل الفيزيائي المباشر.

أولاً: التداعيات البنيوية : تُعنى التداعيات البنيوية برصد الاختلالات الجسيمة التي تصيب الهيكل التنظيمي والتركيبية الديموغرافية للأسرة العراقية جراء الحروب؛ ويتجسد هذا التصدع البنيوي في مظهرين متلازمين: يبدأ بالتفكك الأسري وانهيار شبكة الروابط الداخلية، وينتهي بإعادة توزيع المسؤوليات والأدوار قسراً بين بقية أفرادها لمواجهة متطلبات البقاء، ومن هذه التداعيات البنيوية :

أ. التفكك الأسري : إن الوضع الطبيعي للأسرة يقوم على علاقات التماسك بين أفرادها، وفي هذا المجال يذهب علماء الاجتماع وعلم النفس إلى استخدام مصطلحات قد تبدو متباينة لكنها تعطي معنى واحداً يدل على قوة الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة؛ حيث يستخدم علماء النفس مصطلح التوافق للدلالة على قوة الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة، والحقيقة إن علماء الاجتماع قد استعاروا هذا المصطلح من چارلس داوين في كتابه أصل

الأنواع فهو مصطلح بايولوجي تم تحويله إلى مصطلح اجتماعي، في حين يستخدم علماء الاجتماع مصطلح التكيف للدلالة أيضاً على قدرة الفرد على أن يغير من البيئة لكي يتلاءم معها، ويرتبط هذا التوافق والتكيف البنيوي مباشرةً بمدى قدرة الأسرة العراقية على مواجهة الأزمات؛ إذ إن غياب التفاهم والتواءم بين أفرادها تحت وطأة الضغوط المركبة والبيئات الطاردة التي تفرزها الحروب الهجينة، يؤدي بالضرورة إلى انشراح هذا الوضع الطبيعي وتصدع العلاقات الاجتماعية، وهو ما يعجل بالوصول للأسرة إلى مرحلة التفكك والانحلال الوظيفي نتيجة لفقدان آليات التكيف مع البيئة القاسية التي تفرضها ظروف النزاع (فخري صبري عباس، 2012، ص 260).

ويشير مفهوم التفكك الأسري سوسيولوجياً إلى تصدع الروابط الوظيفية والعاطفية التي تجمع أفراد الأسرة، سواء عبر الانفصال الفعلي أو عبر تآكل التماسك الداخلي دون انفصال جغرافي بالضرورة، وتشكل الحروب الهجينة، بما تحمله من ضغوط اقتصادية ونفسية متراكمة، عاملاً حافزاً رئيساً لهذا التفكك؛ فقد أظهرت الدراسات حول اللاجئين والنازحين أن الضغوط النفسية المتراكمة لدى مقدمي الرعاية ترتبط بأنماط تربية أكثر قسوة وزيادة في مستويات العنف الأسري (Amanda Sim, 2018)، كما وثقت دراسات مماثلة في أفغانستان وسريلانكا ارتباطاً مباشراً بين التعرض للحرب وتصاعد حوادث العنف المنزلي (Hadar , pp. 10).

وفي السياق العراقي تحديداً، وثقت دراسة ميدانية أجريت على الأطفال المتضررين من حرب داعش في أربيل ارتفاع حالات العنف الأسري والإهمال بين الأسر النازحة، إلى جانب اضطراب ما بعد الصدمة والقلق والاكتئاب لدى الأطفال أنفسهم (Omar H. Ahmed, 2025, p.p 548 – 550)، وتستنتج الباحثان أن التفكك الأسري في السياق العراقي لا ينبغي فهمه كحدث مفاجئ ومنفصل أو كمجرد انهيار قانوني وعضوي لعقد الزوجية، بل هو عملية تراكمية ممتدة وبطيئة تبدأ بالضغط الاقتصادي الحاد وتآكل الموارد، وتتغذى على الضغوط النفسية والصدمات غير المعالجة الناتجة عن معاشية العنف؛ إذ تتطور هذه الضغوط عبر الزمن لتتحول إلى تفاعلات يومية متوترة ومشحونة داخل المنزل، لتنتهي في حالات عديدة بتفكك فعلي (سواء أكان انفصلاً جغرافياً أو طلاقاً عاطفياً صامتاً) يفقد فيه الأطفال والفتيات تحديداً شبكة الحماية والاستقرار البدني والنفسي التي كانت الأسرة توفرها لهم تقليدياً.

ب. **تغير حجم وتركيب الأسرة :** تؤدي الحروب والنزاعات المسلحة إلى إحداث تغيرات جوهرية ومباشرة في التركيب البنيوي والحجمي للأسر في المجتمعات المتضررة؛ حيث يتسبب العنف المسلح والهجرة والنزوح القسري في تدمير نمط الأسرة الممتدة التقليدي وتشتيتها جغرافياً، مما يدفع باتجاه بروز أشكال أسرية جديدة كالأسر النووية الصغيرة، أو الأسر أحادية الوالد، أو الأسر المشطورة، وينعكس هذا التحول البنيوي على تركيب العائلة من خلال اختلال التوازن النوعي والعددي لأفرادها؛ إذ يتسبب الفقد والوفيات والاعتقال بين صفوف الذكور في زيادة مطردة في نسبة الأسر التي ترأسها وتعيّلها النساء بمفردهن، وفي مقابل هذا الانكماش الحجمي تفرض أزمات النزوح وصعوبات السكن المعيشي نمطاً عكسياً يتمثل في تضخم حجم الوحدات المعيشية مؤقتاً وقسراً، نتيجة تكس عائلات متعددة ومنفصلة داخل مأوى مشترك أو مراكز إيواء جماعية تفتقر للخصوصية، بهدف تقاسم التكاليف الاقتصادية وتأمين الحماية المتبادلة (Lina M. Sánchez-Céspedes , 2017, p. 276).

وقد أدت الحروب المتعاقبة إلى تحول ملموس في حجم الأسرة العراقية وتركيبها الديموغرافي؛ فمن جهة، أفرزت موجات القتل والفقد ارتفاعاً حاداً في نسبة الأسر التي تعيّلها امرأة، ومن جهة أخرى، أدى النزوح المتكرر إلى تفتيت الأسرة الممتدة التقليدية التي كانت تضم عدة أجيال وأفرع أسرية تحت مظلة واحدة، لصالح نواة أسرية أصغر وأكثر هشاشة، إذ إن متوسط حجم الأسرة العراقية المستخدم في التقديرات الإحصائية لدى منظمة الهجرة الدولية يبلغ نحو ستة أفراد للأسرة النازحة خارج المخيمات وخمسة أفراد داخلها (International Organization for Migration, p. 13)، وهي أرقام تعكس ضغطاً سكانياً كبيراً يقابله غالباً دخل أسري واحد أو معدوم .

كما أفرزت ظاهرة الأسر ذات الانتماء المتصور لداعش فئة أسرية جديدة تعاني من وصم اجتماعي مضاعف يعيق اندماجها، حيث توثق تقارير الأمم المتحدة استمرار معاناة هذه الأسر من رفض مجتمعي في مناطق العودة، رغم الجهود المبذولة عبر لجان السلم الأهلي المحلية لتسهيل اندماجها (Jacqueline Parry 2023, pp 16–18)، وترى الباحثتان أن هذه التحولات البنيوية المتسارعة في حجم الأسرة وتركيبها لا تمثل مجرد إحصائية ديموغرافية عابرة أو تبديلاً رقمياً في جداول البيانات، بل تعكس إعادة تشكيل بنيوية عميقة وشديدة الخطورة لوحدة الإنتاج والتنشئة الاجتماعية الأساسية في المجتمع العراقي، وإن الانتقال القسري من

الأسرة الممتدة الحامية إلى الأسر النووية الهشة أو الأسر أحادية الوالد التي ترأسها النساء، جنباً إلى جنب مع ظهور فئات أسرية موصومة ومعزولة، قد جرد العائلة العراقية من شبكات التضامن التقليدية والروابط القرابية التي كانت تمثل المصدة الأولى للأزمات تاريخياً .

ج. النزوح والهجرة وأثرهما على الروابط الأسرية : في محاولة للهروب من الواقع القاسي الذي تعيشه الأسرة في ظل ضغوط الحروب والأزمات الأمنية والاقتصادية المركبة، قد يلجأ أحد الزوجين إلى محاولة التخلص من هذه الأعباء الناتجة عن تداعيات النزاع المسلح عن طريق (هجر) الأسرة، واللجوء إلى العيش في بيئات اجتماعية أخرى بديلة للتغطية على حالة العجز والفشل في تلبية متطلبات البقاء والالتزامات الأسرية التي فرضتها ظروف الحرب، كالعيش مع الأهل أو الأقارب أو الانخراط مع زمر وجماعات اجتماعية أخرى؛ الأمر الذي يتسبب في تصدع البناء الاجتماعي للأسرة وانهيار أدوارها الوظيفية، وهو ما برز بوضوح في بعض الأسر العراقية التي عانت من صدمات واضطرابات مرحلة ما بعد تاريخ 2003/4/9 وما رافقها من نزاعات مسلحة ممتدة (فخري صبري عباس، ص 270) .

ويمثل النزوح القسري، بوصفه أحد أبرز تجليات الحروب الهجينة، أحد أكثر العوامل تأثيراً في إعادة تشكيل الروابط الأسرية العراقية؛ إذ لا يقتصر أثره على الانتقال المكاني، بل يمتد ليشمل قطع الروابط مع شبكة الأسرة الممتدة والمجتمع المحلي الأصلي، وتشير بيانات مركز رصد النزوح الداخلي إلى أن العراق يحمل تاريخاً ممتداً من النزوح الداخلي المتجذر في التوترات الطائفية والصراعات المتعاقبة، من ضمنها الصراع مع تنظيم داعش الذي استمر قرابة عقد من الزمن (Internal Displacement Monitoring Centre, 2024)، وكما تشير بيانات حديثة إلى وجود 291 موقعاً في العراق لم يسجل أي عودة للنازحين منه منذ بدء الصراع مع داعش، وهي مناطق باتت توصف بأنها مناطق اللاعودة، مما يعني أن آلاف الأسر فقدت نهائياً روابطها المكانية والاجتماعية بمواطنها الأصلية (International Organization for Migration, p. 13) .

وقد بينت متابعة ميدانية حديثة لعينة من الأسر العائدة والنازحة أن نوعية التعليم والخدمات الأساسية في مناطق النزوح والعودة على حد سواء لا تزال متدنية، مما يعرقل استقرار الروابط الأسرية من جديد حتى بعد انتهاء موجة النزوح الأولى، إذ لا تزال نسبة كبيرة من الأسر العائدة تعاني من تضرر المساكن ومحدودية فرص

العمل وضعف الوصول للخدمات الأساسية (3-2, International Organization for Migration), وتخلص الباحثة إلى أن النزوح والهجرة لم يكن حدثاً عابراً محدود الأثر الزمني ينتهي بمجرد توقف العمليات العسكرية أو الانتقال الجغرافي، بل هو عملية ممتدة ومعقدة أعادت تعريف وتشكيل مفهوم الروابط الأسرية ذاته لدى شريحة واسعة من العراقيين، فقد أسهم هذا الانقطاع المكاني المزمّن في الانتقال بالأسرة العراقية من نمط التآزر القرابي المباشر والمستقر إلى نمط هجين ومستحدث يُعرف بالأسر المشطورة، حيث باتت الروابط الأسرية والالتزامات الاجتماعية تُدار عن بعد عبر وسائل الاتصال الحديثة والشبكات الرقمية كبديل اضطراري للتفاعل الفيزيائي والمباشر الذي كان يشكل ركيزة البنية الأسرية والقرابية التقليدية في المجتمع العراقي .

المبحث الثاني

التداعيات القيمية والثقافية والنفسية-الاجتماعية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية

لا تتوقف آثار الحروب الهجينة عند التصدعات الهيكلية والمكانية، بل تتعداها لتستهدف الأنساق الرمزية والموجهات السلوكية والبنية النفسية لجميع أفراد الأسرة العراقية، فقد فرضت ظروف النزاع الممتدة والإنهاك المادي حالة من التراجع في الوظيفة التربوية للأسرة وتآكل سلطتها الوالدية، بالتوازي مع تعرضها لضغط الحرب المعلوماتية والدعائية والانكشاف المفرط على منصات التواصل الاجتماعي، وقد أسهم هذا التدفق الافتراضي في خلق فجوة معرفية وقيمية حادة، وتأجيج صراع القيم بين الأجيال بين آباء يتمسكون بالمرجعيات الموروثة وأبناء يندفعون نحو قيم الفردية والانسلاخ الثقافي، وعلى الصعيد النفسي أوجدت النزاعات الهجينة حالة من الخوف الشديد والقلق المزمّن والانعدام الوجودي للأمان، إلى جانب تشكل صدمات اجتماعية جماعية عابرة للأجيال تنعكس مباشرة في صورة انسحاب عاطفي أو أساليب تربوية قاسية، مما يحول البيئة الأسرية من مصدر للحماية والتعافي إلى مساحة مشحونة بالتوتر والاضطراب .

تتكامل آثار الحروب الهجينة لتمتد من التصدعات البنائية والهيكلية إلى الأنساق الرمزية والموجهات السلوكية التي تحكم علاقات الأسرة العراقية الداخلية ومحيطها الخارجي؛ إذ أفرزت بيئات النزاع الطويلة ضغوطاً حادة أسهمت في خلخلة المنظومة الأخلاقية والثقافية الموروثة وإحلال أنماط قيمية مستحدثة فرضتها ضرورات البقاء والتحويلات الرقمية المتسارعة؛ الأمر الذي يتضح بجلاء من خلال رصد التحولات الآتية :

أ. تغير منظومة القيم: ينعكس التغير القيمي على شكل الأسرة وأدوارها الوظيفية، حيث تفقد الأسرة المزيد من وظائفها، وتتبدل مكانة الأسرة من مصدر لتشرب القيم إلى مستقبل للقيم، كما تشهد الأسرة تراجعاً متزايداً في السلطة الأسرية، وارتفاع وتيرة التصادم بين الأجيال بسبب اختلاف المرجعيات، فالجيل الجديد لا يثق في تجارب الجيل السابق، ويعتبرها قديمة أو غير مفيدة، أو ليست ذات جدوى، كما أن الجيل الأكبر لا يثق في قدرة الجيل الشاب على المحافظة على القيم، وفي المقابل يرى الشباب أن الكبار يقاومون التغيير والتطور، كما أن اتساع الفجوة بين الأجيال يؤدي إلى العزلة وضعف التواصل، وظهور أجيال متوازية لا تتقاطع بأي حال من الأحوال، ولا تتفاعل مع الجيل الأكبر إلا بشكل محدود، ودون اقتناع، وكما يؤدي ذلك إلى ظهور أنماط جديدة من العلاقات الأسرية والاجتماعية، علاقات تتميز بكونها أفقية أكثر من كونها عمودية، وهذا يقود إلى تفكك الحوار الأسري وغياب الفهم المتبادل، وضعف في العلاقات والروابط الأسرية القائمة على القرابة وصلة الدم، وتنامي علاقات الصحبة والصدقات الافتراضية (فاطمة منصور فرج، 2025، ص 72).

ولاشك أن أدوات الحرب الناعمة تمارس تأثيراً متزايداً في الضغط على الأفراد نحو الانسلاخ الثقافي والتقليد الأعمى لثقافات غربية دون الانتقاء أو الاختيار، والتشوه في المعايير الأخلاقية، كما أنها تؤدي إلى تعدد مصادر القيم والأخلاق، حيث تتوزع بين عدة مصادر (الأسرة، الأشخاص المؤثرين، المنصات الرقمية، التجارب الشخصية (فاطمة منصور فرج، 2025، ص 72).

وتتعرض منظومة القيم الأسرية العراقية لضغط مزدوج ناتج عن الحرب الهجينة؛ فمن جهة أدت سنوات الحرمان والفقر إلى تراجع بعض القيم التقليدية المرتبطة بالتمسك الأسري لصالح قيم البقاء الفردي والتنافس على الموارد الشحيحة، ومن جهة أخرى، أدى الانفتاح القسري على المحتوى الرقمي العالمي، بما فيه المحتوى المضلل والدعائي، إلى دخول منظومات قيمية دخيلة في تنافس مباشر مع القيم الأسرية والمجتمعية التقليدية، وقد لوحظ في هذا السياق ارتفاع بعض المؤشرات الاجتماعية السلبية المرتبطة بضعف الوازع القيمي التقليدي في أوساط الشباب المتأثرين بالنزوح المطول، منها ارتفاع معدلات العمل غير المنظم والتسرب المدرسي كآلية تكيف بديلة عن التعليم (ACAPS, Education in Iraq, Thematic Report, 2020, pp 1-7-11).

كما تسهم المدرسة الرقمية التي تقدمها منصات التواصل الاجتماعي في تشكيل منظومة قيمية بديلة لدى الأطفال والمراهقين تتنافس مع القيم الأسرية التقليدية، خصوصاً حين تكون الأسرة منشغلة بتأمين

احتياجاتها المعيشية الأساسية وغير قادرة على مواكبة هذا المحتوى أو الإشراف عليه بالقدر الكافي، تستنتج الباحثة أن التحولات الجوهرية في منظومة القيم لدى الأسرة العراقية تعد نتيجة موضوعية لتضافر مسارين؛ أولهما الإنهاك المادي والمعنوي الحاد الذي عانت منه الأسرة بفعل سنوات النزاع والنزوح، مما استنزف طاقتها وحول اهتمامها نحو معارك البقاء وتأمين المعيشة، الأمر الذي أضعف قدرتها على أداء وظيفتها التقليدية كحاضنة وموجه قيمي للأبناء، وثانيهما توفر بدائل قيمة رقمية عبر منصات التواصل الاجتماعي، تميزت بسهولة الوصول وقوة التأثير، فملأت الفراغ مستغلة الفجوة المعرفية بين الأجيال وانشغال الآباء، مما أدى في النهاية إلى صعود قيم الفردية وتراجع السلطة الأسرية لصالح فضاءات افتراضية شكلت وعي الجيل الجديد بمعزل عن إرثه المجتمعي .

ب. تأثير الإعلام والحرب المعلوماتية على الأبناء : يلعب الإعلام بمختلف وسائله التقليدية والحديثة دوراً جوهرياً في صياغة المنظومة القيمية، ومع بروز الثورة التكنولوجية وما لازمها من تسارع مطرد في أدوات الاتصال، وتخطى هذا الدور مربع التأثير المتبادل ليتجه نحو تكريس التبعية والتقليد التام، ويسهم هذا التحول في دفع الأبناء نحو التخلي عن بعض القيم المجتمعية الأصيلة وتراجع فاعلية بعضها الآخر تحت وطأة الغزو الثقافي والحرب الناعمة، مستغلاً ما يملكه من عناصر جاذبية وتشويق، إلى جانب ثلاث ركائز بنيوية تميز الإعلام الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي وهي الفورية، والتفاعلية، والتحديث المستمر، مما يحولها إلى أدوات نافذة في توجيه عقول الأجيال الناشئة والسيطرة عليها (أماني محمد شريف عبد السلام، 2023، ص 513) .

وتشكل الحرب المعلوماتية والدعائية أحد الأبعاد الجوهرية للحروب الهجينة، وتستهدف بصورة خاصة الفئات الأكثر قابلية للتأثر، وفي مقدمتها المراهقون والشباب، وتشير دراسة حديثة إلى أن المراهقين يمرون بتغيرات اجتماعية ومعرفية وانفعالية سريعة تجعلهم أكثر عرضة للتأثر بالمعلومات المضللة عبر التأثير الاجتماعي والتلاعب العاطفي والانحيازات المعرفية، مقارنة بالبالغين (Ma et al, p. 18), كما بينت دراسات أخرى أن المحتوى المثير عاطفياً والمتطرف يجذب اهتمام المراهقين بصورة أكبر من المحتوى المتوازن، خصوصاً حين يصدر عن أقران أو مؤثرين يحظون بإعجابهم (Leiden University, 2025) .

وإن تداول المعلومات المضللة والمزيفة يؤدي إلى عواقب ضارة في العالم الحقيقي، مثل التحريض على العنف ضد الأقليات العرقية، أو تحويل الأطفال والشباب إلى ضحايا من خلال نشر صور متلاعب بها تهدف إلى تشويه صورتهم، أو ترسيخ أفكار نمطية مشوهة لديهم، أو إفقادهم مصداقيتهم (Philip N. Howard, 2021, p. 13).

وفي السياق العراقي، استغل تنظيم داعش هذا البعد بكثافة عبر توظيف أدوات العنف المرئي والدعاية الرقمية المكثفة كوسيلة في الحرب النفسية، بهدف نقل أيديولوجيته وتجديد المراهقين والشباب، وهو ما ساهم في توجيه عكسي للوعي الجمعي لدى شريحة واسعة من الفئات العمرية المستهدفة، ويضاعف من خطورة هذا التأثير أن الأسرة العراقية، المنهكة أصلاً بضغوط النزوح والفقر، غالباً ما تفتقر إلى الوقت والموارد الكافية لمراقبة استهلاك أبنائها للمحتوى الرقمي أو توجيههم نحو استهلاك نقدي وواعٍ له، وتخلص الباحثة من خلال القراءة التحليلية للمتغيرات السابقة إلى أن الحرب المعلوماتية والدعائية الرقمية تمثل أداة اختراق قوية تتجاوز استهداف الأبناء كأفراد معزولين، لتستهدف المنظومة الأسرية برمتها كبنية اجتماعية متكاملة. ويتضح أن قوى الحرب الهجينة تعتمد استراتيجية تزامنية ذكية؛ إذ تستغل حالة الإنهاك الاقتصادي، والنفسي، والاجتماعي التي تعاني منها الأسرة العراقية نتيجة لظروف النزوح والفقر المستمر، لتحول هذا الانشغال والضغط الأسري إلى ثغرة بنيوية تتيح للإعلام الرقمي الانفراد بعقول الجيل الجديد .

ج. صراع القيم بين الأجيال: تواجه الأجيال الجديدة اليوم تحديات جمة فرضتها الحرب الناعمة وأدواتها التي أفرزتها التداعيات السلبية للثورة التقنية، واستهدفت عقول وأفكار الأجيال الشابة، بما حملته من تأثيرات بالغة على منظومة القيم؛ الأمر الذي دفع الجيل الناشئ نحو التحلل من كثير من القيم والقيود والضوابط الاجتماعية، مما يشكل خطراً حقيقياً على السلوك الفردي والاجتماعي، ويأتي هذا التحول نتيجةً لتطور أسلحة التصادم والصراع بين الثقافات والأيديولوجيات المختلفة، مؤدياً إلى بروز الانحراف والتطرف في السلوك الإنساني، وظهور صور ومظاهر غير معتادة لمشكلات اجتماعية وافدة على البيئة المحلية، ويتمظهر هذا الصراع في الاندفاع نحو الإشباع المادي، والإقبال على الترفيه واللهو بالمعنى المنافي لضوابط المجتمع وتعاليم الدين، والانفتاح الإعلامي والثقافي المبالغ فيه، فضلاً عن تصاعد معدلات الجريمة والفساد، وانحراف الأحداث، وتنامي حالات العقوق التي تصل في بعض الأحيان إلى استخدام العنف، مصحوباً بضعف الوازع الديني

والأخلاقي، وتغليب المصلحة الخاصة، واضطراب المعايير الاجتماعية والذاتية، والتمرد على الضوابط الدينية والاجتماعية، تعطي هذه المؤشرات دلالة واضحة على حدوث تغير عميق وتدني في منظومة القيم والأخلاق (أسماء سالم أحمد بن عفيف, 2022, ص 883).

ويتسع هذا الصراع القيمي نتيجة تدفق القيم الدخيلة كالفردية والأنانية، والشذوذ الأخلاقي والسلوكي، ودعم وتأسيس الحركات والأفكار المعادية كالماسونية، ومحاربة اللغة العربية، وتغيير نظم التعليم، إلى جانب استغلال وسائل الإعلام المختلفة في نشر الفوضى والإباحية، وإفساد الأخلاق، وتغيير سلم الحياة الاجتماعية، وتبديل القوانين والتشريعات، ويحدث هذا التبدل في خضم الانجرار وراء مغريات الإعلام التواصلي والانفتاح على الغرب لمواكبة التطور والمدنية، وتتصرف هذه القراءة التحليلية إلى رصد التغيرات والتحويلات السلبية الواضحة في منظومة القيم بفعل العولمة الرقمية، والتعرض المكثف غير المراقب للثقافات المستوردة المتاحة للجميع، والتي يتلقاها الفرد مجاناً داخل بيته دون أدنى مجهود أو تكلفة؛ حيث تحول دور المتلقي في هذه المعادلة إلى التقبل والترحيب بالقيم الجديدة تحت مبررات مختلفة، ومع مرور الوقت وضمن بيئة تتسم بضعف المناعة الذاتية، تنعكس هذه القيم الدخيلة في الاتجاهات، والسلوكيات، والعادات، والأساليب التربوية، مما يؤدي بالضرورة إلى إحداث حالة حادة من التصادم بين المرتكزات الثقافية والعقدية الأصيلة، وبين القيم المصدرة التي تطلق العنان للرغبات المكبوتة والحريات المقيدة بالقانون والدين والمجتمع (فرج فاطمة منصور, 2023, ص 324).

وأبرزت التحويلات المتسارعة التي عاشتها الأسرة العراقية عبر عقدين من الزمن فجوة قيمية متنامية بين جيل الآباء الذين تشكل وعيهم في سياقات اجتماعية أكثر استقراراً نسبياً، وجيل الأبناء الذين نشأوا في بيئة من النزوح المتكرر والانكشاف الرقمي المبكر على محتوى عالمي متنوع ومتناقض القيم أحياناً، ويتجلى هذا الصراع القيمي بين الأجيال في تباين النظرة إلى قضايا الزواج والتعليم والعمل، وفي تراجع سلطة الوالدين التقليدية في توجيه الأبناء لصالح مصادر تأثير بديلة، وهو نمط توثقه الأدبيات المعنية بتأثير وسائل التواصل الاجتماعي على تشكيل الهوية الاجتماعية للمراهقين، والتي تشير إلى أن الاستخدام المكثف لهذه الوسائل يترك أثراً سلبياً على مراحل تشكل الهوية الاجتماعية للمراهق، بما يستدعي تدخلاً واعياً من الأسرة والمدرسة معاً (Elsayed, 2023, p. 2).

ويضاف إلى ذلك أن ظاهرة الزواج المبكر التي تفاقمت في السياق العراقي بفعل الحرب والفقر تخلق بحد ذاتها صراعاً قيمياً داخلياً؛ إذ تجد الفتاة نفسها مجبرة على تبني دور الزوجة والأم في سن مبكرة تتناقض مع تطلعاتها التعليمية والشخصية التي قد تكون قد تشكلت عبر انفتاحها الرقمي على نماذج حياتية مغايرة (Girls Not Brides, 2023). وتخلص الباحثة من خلال القراءة التحليلية إلى أن صراع القيم بين الأجيال داخل الأسرة العراقية هو صراع مركب ومضاعف الحدة، يتجاوز بحدته وسياقاته حدود التدافع الطبيعي المألوف في المجتمعات المستقرة، ويتأسس هذا التحول على التلاحم بين ضغوط الحرب الهجينة وطغيان العولمة الرقمية، حيث يتمسك جيل الآباء بالمنظومة الأخلاقية الموروثة، في حين يندفع جيل الأبناء — الواقع تحت وطأة النزوح والمنكشف مبكراً على التدفق الافتراضي — نحو قيم وافدة تدعو إلى الفردية وتضعف الروابط الأسرية، وهو ما يظهر في تباين الرؤى حول التعليم والزواج المبكر؛ وبناءً عليه، فإن تسارع وتيرة التغيير القسري والصدمات المتلاحقة حرمت كلا الجيلين من فرصة التكيف التدريجي أو بناء حوار متوازن، مما جعل عقول الأبناء ساحة معركة فكرية مفتوحة تتراجع فيها السلطة التربوية الوالدية لصالح منصات رقمية تعيد هندسة وعي الجيل الجديد وتوجه قناعاته .

التداعيات النفسية والاجتماعية : تلقي الحروب الهجينة بظلالها القاتمة على البنية النفسية والاجتماعية للأبناء، مخلفة آثاراً عميقة تمس استقرارهم الوجداني وتوافقهم المجتمعي، وتتداخل هذه التداعيات لتشمل حزمة من الاضطرابات النفسية والسلوكية الناتجة عن الصدمات المتلاحقة وأجواء عدم اليقين، مما ينعكس سلباً على سلامة التنشئة الأسرية والتماسك المجتمعي، ويظهر ذلك جلياً من خلال المؤشرات الآتية :

أ. الخوف والقلق وعدم الشعور بالأمان : تُعدّ مشاعر الخوف والقلق الشديد من أكثر الاستجابات النفسية والسلوكية شيوعاً وتفاقماً لدى الأفراد في البيئات المتأثرة بالحروب والنزاعات المسلحة؛ إذ لا تقتصر هذه المشاعر على كونها ردود أفعال عابرة، بل تتطور لتشكل اضطرابات هشة تُضعف قدرة الفرد على التكيف والعمل، وفي هذا الصدد تُشير التقديرات الحديثة لمنظمة الصحة العالمية إلى أن معدلات انتشار اضطرابات القلق في المجتمعات المتأثرة بالنزاعات تصل إلى نحو (21.7%)، حيث تتنوع شدتها بين حالات خفيفة ومتوسطة وصولاً إلى حالات حادة، وكما تُظهر البيانات الميدانية وجود تداخل مرضي مرتفع بين القلق والاكتئاب؛ إذ إن نحو (41.6%) من الأفراد المصابين باضطرابات اكتئابية في مناطق الصراع يعانون في

الوقت ذاته من قلق مصاحب، مما يُضاعف العبء النفسي والوظيفي على الأسرة والمجتمع (Charlson, Fiona, 2019, pp. 240–248).

ويمثل الشعور المزمن بعدم الأمان أحد أبرز التداعيات النفسية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية، نظراً لما تتسم به هذه الحروب من غموض وعدم يقين، وتوثق الدراسات النفسية المبكرة حول الأطفال الأكراد النازحين في العراق عقب حرب الخليج أن جميع الأطفال المشمولين بالدراسة أظهروا أعراضاً لاضطراب ما بعد الصدمة، فيما شُخصت نسبة (20%) منهم باضطراب ما بعد الصدمة الكامل، مع تحسن ملحوظ عند عودتهم إلى مناطقهم الأصلية (Ahmad, A., 1992, pp. 315)، وهي نتيجة تؤكد الترابط الوثيق بين الشعور بالأمان المكاني والاستقرار النفسي للطفل، وبالمثل أظهرت دراسة أجريت على الأطفال اللبنانيين المتأثرين بالحرب استمرار أعراض اضطراب ما بعد الصدمة لدى 43% منهم حتى بعد مرور عشر سنوات على انتهاء التعرض للصدمة (Mona S. Macksoud and J. Lawrence Aber, 1996, pp. 70–88)، وهو مؤشر مقلق لطول أمد الأثر النفسي لهذا النمط من التهديدات .

وفي السياق العراقي المعاصر، وثقت دراسة ميدانية أجريت على الأطفال النازحين واللاجئين المتأثرين بحرب داعش في أربيل مجموعة واسعة من المشكلات النفسية والاجتماعية، من بينها اضطراب ما بعد الصدمة والقلق والاكتئاب والإهمال والعنف الأسري والمدرسي (Omar H. Ahmed, The, p.p 548 –550)، وتستنتج الباحثة مما تقدّم أن الحروب الهجينة، بما تحملها من طابع سيال؛ وغموض بنيوي؛ وامتداد زمني لا يتقيد بجغرافية المعركة التقليدية، تُنتج نمطاً خاصاً ومركباً من القلق الوجودي وحالة من انعدام الأمان؛ وهو قلق يختلف جذرياً عن الاستجابات النفسية المؤقتة الناجمة عن النزاعات التقليدية المحدودة زماناً ومكاناً، ففي ظل هذا النمط من الحروب، لا يعود الخوف مجرد رد فعل انفعالي عابر تجاه خطر داهم، بل يتحول إلى حالة شرطية دائمية وإطار مُوجّه لسلوك أفراد الأسرة العراقية، الذين يظلون في حالة ترقب واستنفار نفسي دائم لتهديدات غير مرئية ومتجددة (كالنزوح القسري، الاستقطاب الرقمي، وفقدان المعيل) .

ب. **الصدّات الاجتماعية** : تُصنّف الحروب والنزاعات المسلحة بوصفها أحداثاً ضاغطة ومُفككة للبناء الاجتماعي؛ إذ إنها لا تقتصر على التهديد المادي المباشر، بل تُولّد صدمات اجتماعية ونفسية مركبة تُضعف قدرة الفرد والأسرة على الاستمرار والتكيف، وتتجسد هذه الخبرات والمواقف الصادمة في التهديد بالقصف

القصف والتدمير الجزئي أو الكلي للمنازل، المدارس، الشوارع، التعرض لإصابة جسدية (الفرد الأسرة، العائلة، الأصدقاء، الجيران)، الاحتجاز بسبب الحرب، التهجير، الفرار تحت القصف المجازر، الانفصال، فقدان، مشاهدة الموتى والجرحى، سماع الصراخ، أصوات القذائف المدفعية، الطائرات الحربية (سمية عيوين، 2025، ص 373).

وإن الأضرار النفسية الناجمة عن الحروب والنزاعات المسلحة لا تنتهي بانتهائها أو بالتهجير؛ إذ إن وضع الحرب أوزارها لا يعني انتهاء معاناة الضحايا، بل إنها قد تستمر وتتفاقم ما لم تتوفر برامج رعاية وتدخل نفسي على المدى الطويل، وإن حجم المعاناة والاضطرابات النفسية التي تواجه الأطفال والمراهقين في المنطقة العربية بشكل عام والمجتمع العراقي بوجه خاص، تتطلب رعاية جادة للحد من الآثار المترتبة عليها؛ وصولاً إلى بناء برامج استجابة وتأهيل متخصصة تُنفذ أثناء الحروب وبعدها، فالآثار النفسية للنزاعات لا تقتصر على المدى القريب، بل تتعداه لتستمر لسنوات طويلة وتتنقل عبر الأجيال فيما يُعرف بالتناقل بين الأجيال للصدمة (سمية عيوين، 2025، ص 370).

وإلى جانب الصدمة النفسية الفردية، تتعرض الأسرة العراقية لصدمة اجتماعية جماعية ناتجة عن تفكك شبكة علاقاتها المجتمعية المعتادة؛ إذ تتحول الأسرة أحياناً بفعل الوصم المجتمعي المرتبط بمناطق سكنها الأصلية أو بانتمائها المتصور لأطراف النزاع، إلى ضحية لصدمة اجتماعية مزدوجة تجمع بين معاناة الحرب المباشرة ومعاناة الإقصاء المجتمعي اللاحق، وتوثق دراسة أممية حديثة أن الأسر التي يُنظر إليها على أنها ذات انتماء متصور لتنظيم داعش تواجه تحديات مركبة في إعادة الاندماج المجتمعي عند عودتها إلى مناطقها الأصلية، حيث يظل قبول المجتمع المضيف لها مرهوناً بعوامل عديدة، من بينها نمط تحركاتها أثناء سيطرة التنظيم وقوة شبكتها الاجتماعية (Mercy Corps, 2021, p. 2).

كما أن التغير الديموغرافي القسري الذي أحدثته الحرب في بعض المناطق ذات الطابع التعددي (كسهل نينوى)، وما رافقه من تهجير مكونات دينية وعرقية بعينها، أفرز شعوراً عميقاً بفقدان الأمان الجماعي لدى هذه الأسر، حتى بعد عودتها، إذ لا يزال الخوف من تكرار الاستهداف يشكل عائقاً نفسياً أمام إعادة الاستقرار الكامل (Omran Omer Ali, 2025, pp. 134)، وترى الباحثة في هذا الصدد أن الصدمات الاجتماعية الناجمة

عن الحروب الهجينة في الواقع العراقي لا يمكن اختزالها في مجرد أعراض نفسية فردية تصيب الأفراد بمعزل عن محيطهم البنيوي، بل هي صدمات بنيوية جيلية تعيد تشكيل الوعي الجمعي والروابط المجتمعية برمتها، وتلقي بثقلها على الأسرة بوصفها الخلية الأكثر هشاشة أمام هذه المتغيرات، حيث يمتد أثر هذه الصدمات عبر الأجيال ليتجاوز معاشية الحرب المباشرة، متجلياً في أشكال حادة من الاغتراب، والانتزاع المكاني، والوصم المجتمعي المزدوج الذي يحرم الأسر المتضررة من حق الاستقرار والشعور بالأمان، وأن معالجة هذه الصدمة المركبة تتجاوز حدود التدخل النفسي الفردي المعتاد أو الحلول الأسرية المعزولة، لتتطلب مقاربة مجتمعية ومؤسسية شاملة تستهدف ترميم النسيج الاجتماعي للمجتمع المحلي بأكمله، وإعادة بناء رأس المال الاجتماعي القائم على قبول الآخر وتفكيك رواسب الوصم والهيكل الإقصائية .

ج. تأثيرها على العلاقات داخل الأسرة : تتسبب الضغوط والأزمات النفسية والاجتماعية الناجمة عن النزاعات في إحداث تغييرات جوهرية في أساليب التعامل الوالدي داخل المحيط الأسري، إذ يؤدي التعرض للضغط النفسي الحاد إلى انسحاب الوالدين عاطفياً أو زيادة نزوعهم نحو الأساليب التسلطية مع الأبناء، وفي المقابل قد تتراجع بعض الأمهات عن ممارسة الرقابة والانضباط نتيجة استنزافهن النفسي أمام الأحداث الضاغطة، هذا التغير في نمط التربية يتجاوز مجرد الحزم إلى تدمير الروابط العاطفية والتواصل التلقائي بين الأفراد، ونتيجة لذلك تتحول الأسرة من مصدر للدعم إلى بيئة يسودها التوتر والشعور بالعزلة والخاوف المكتومة (Tamar Hadar, p. 2).

وتتعرض التداعيات النفسية والاجتماعية المتقدمة مباشرة على نوعية العلاقات الداخلية بين أفراد الأسرة الواحدة؛ إذ تشير الأدبيات العلمية المتعلقة بأسر اللاجئين والنازحين إلى أن اضطراب ما بعد الصدمة لدى الوالدين يرتبط بأنماط تربية أكثر قسوة وعدواناً، وهو ما يفاقم من الاضطرابات النفسية لدى الأطفال بأثر يفوق أحياناً الأثر المباشر للصدمة على الطفل نفسه، وكما بينت دراسة أخرى أن أعراض اضطراب ما بعد الصدمة المرتبطة بتجنب المشاعر والانسحاب العاطفي قد تؤدي إلى غياب التقارب الوجداني بين الوالدين والأبناء، بما يحرم الطفل من الدعم العاطفي الذي يحتاجه في أوقات الأزمات تحديداً (Sim, Bowes, p. 8 -10).

في المقابل تشير بعض الدراسات إلى أن الدعم الأسري والدعم من الأقران يمكن أن يلعب دوراً وقائياً مهماً في تسهيل استرجاع الذكريات الصادمة ومعالجتها بصورة صحية لدى الأطفال والمراهقين اللاجئين، مما يخفف من حدة الأعراض النفسية طويلة المدى (Arianna Barazzetti, 2025). وتخلص الباحثان إلى أن العلاقات الأسرية الداخلية تقف عند مفترق طرق حرج تحت وطأة الحروب الهجينة وما يرافقها من تداعيات متداخلة، إذ تتجاوز هذه الآثار حدود الفرد لتشمل البنية الوظيفية للأسرة برمتها وتؤثر على استقرارها، لتضع الأسرة أمام مسارين: فإما أن تتفكك روابطها بفعل الصدمة المتراكمة وتصبح بيئة مضطربة ومصدراً إضافياً للأذى، وإما أن تتجح في استثمار عوامل المساندة والتدخلات النفسية والاجتماعية لتستعيد تماسكها وفعاليتها، وتتحول إلى صمام أمان ومصدر أساسي للحماية والتعافي والمرونة النفسية لجميع أفرادها .

ختاماً، تخلص هذه الدراسة الوصفية التحليلية إلى أن الحروب الهجينة في العراق لم تكن مجرد صراعات عسكرية عابرة، بل شكلت ظاهرة سوسولوجية معقدة استهدفت البنية الأساسية للمجتمع والمتمثلة في الأسرة العراقية، فقد نجحت أدوات الضغط الناعمة والخشنة لهذه النزاعات في إحداث اختلالات بنيوية وديموغرافية حادة، وخلخلة الأنساق القيمية والثقافية، وإيجاد أزمات وصددمات نفسية واجتماعية ممتدة عابرة للأجيال، وهو ما يتطلب الخروج من إطار الحلول الترقيعية الفردية إلى تبني استراتيجية شمولية تتكامل فيها الأبعاد السوسولوجية والنفسية والأمنية لإعادة ترميم النسيج الأسري والمجتمعي العراقي .

نتائج البحث : تأسساً على المقاربة السوسولوجية الوصفية والتحليلية المستندة إلى المعطيات والمؤشرات والدراسات المباشرة المرفقة بالبحث، يخلص البحث إلى مجموعة من النتائج المحورية التي تجمل أبعاد التداعيات الاجتماعية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية، وذلك على النحو الآتي:

- ينشأ التفكك الأسري تدريجياً نتيجة تراكم الضغوط الاقتصادية والصددمات النفسية الناتجة عن الحرب .
- أدى النزوح وفقد الذكور إلى تفتت الأسرة الممتدة وظهور الأسر التي ترأسها النساء والأسر المشطورة مكانياً.
- أسهم الإنهاك المادي للأسر والانكشاف الرقمي للأبناء في إضعاف السلطة الوالدية والوظيفة التربوية .
- اتسعت الفجوة المعرفية والقيمية بين الآباء المتمسكين بالتقاليد والأبناء المتأثرين بالثقافة الرقمية .

- خلف الغموض الأمني شعوراً دائماً بعدم الأمان، مع انتقال الصدمات النفسية من الوالدين للأبناء وتأثر العلاقات الداخلية .

التوصيات : بناءً على نتائج البحث وتأسيساً على المقاربة السوسيولوجية والأمنية لمعالجة التداعيات الاجتماعية للحروب الهجينة على الأسرة العراقية، يُوصى بالآتي:

- إعداد برامج حماية ورعاية اجتماعية مستدامة للأسر التي ترأسها وتُعيّلها النساء وللأسر النازحة والعائدة، للحد من التفكك الأسري الناتج عن التآكل المادي والضغط المعيشي .

- إنشاء مراكز متخصصة للدعم والدعم النفسي-الاجتماعي المستمر في مناطق النزوح والعودة، لمساعدة الوالدين على تجاوز الصدمات المتناقلة بين الأجيال وتعزيز أساليب التعامل والتربية السليمة أثناء الأزمات .

- تطوير آليات المصالحة المجتمعية لتسهيل العودة الآمنة للنازحين في مناطق اللاعودة، وتفكيك روايت الوصم الاجتماعي الموجه ضد الأسر الموصومة لإعادة دمجها واجتماع شملها .

- إطلاق مبادرات وطنية لتعزيز "التربية الرقمية" لدى الأبناء لحمايتهم من الحرب المعلوماتية والدعاية المضللة، وردم الفجوة المعرفية والقيمية بين جيل الآباء والأبناء .

المصادر والمراجع :

- المصادر العربية :

- أسماء سالم أحمد بن عفيف، طبيعة القيم- دراسة مقارنة بين الإسلام والفلسفات الوضعية، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية، المجلد 2، العدد 46، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، 2022.
- أماني محمد شريف عبد السلام، التغير القيمي لدى طلاب جامعة أسيوط في ضوء التربية - عدد خاص بالمؤتمر العلمي تطوير التعليم اتجاهات معاصرة ورؤية مستقبلية، المجلد 39، العدد 10، الجزء 2، جامعة أسيوط، مصر، 2023 .
- سمية عيوي، الآثار النفسية للحروب والنزاعات المسلحة على الطفل والمراهق: دراسة تحليلية لـ 16 دراسة باستخدام الذكاء الاصطناعي، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، مجلد 10، عدد 1، الجزائر، 2025 .
- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002 .
- فاطمة منصور فرج، المرأة العربية والتحديات السوسيوقافية للعولمة، بحث منشور في مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، المجلد 4 العدد 14، اليمن، 2023 .

- فاطمة منصور فرج، الحرب الناعمة والتغير في منظومة القيم (تحليل سوسيولوجي لمالات التصادم القيمي بين الأجيال في ظل استشراف المستقبل)، مجلة الدراسات المستقبلية جامعة سرت، المجلد 2، العدد 1، ليبيا، 2025.
- فخري صبري عباس، دراسة تحليلية للعوامل المرتبطة بالتفكك الأسري للعائلة العراقية بعد أحداث 2003/4/9، مجلة الفتح، كلية التربية الأساسية - جامعة ديالى، العدد الحادي والخمسون، العراق، 2012 .
- ماجد الحياي وأخرون، الحروب الهجينة في الفضاء العربي، مركز الدراسات الاستراتيجية، بغداد، العراق، 2020 .
- معن خليل العمر، نقد الفكر السوسيولوجي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004 .
- رالف لينتون، دراسة الإنسان، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، 1964 .

ثانيًا : المصادر الأجنبية :

- Lina M. Sánchez-Céspedes, The consequences of armed conflict on household composition, Oxford Development Studies, Vol. 45, No. 3, 2017 .
- Omar H. Ahmed, The Psychosocial Problems of the Children Affected by the ISIS War in Iraq and Syria: A Case Study of IDPs and Refugees in Erbil, Koya University Journal of Humanities and Social Sciences, 2025 .
- ACAPS, Education in Iraq, Thematic Report, Geneva, November 2020 .
- Ahmad, A., Symptoms of Posttraumatic Stress Disorder among Displaced Kurdish Children in Iraq: Victims of a Man-Made Disaster after the Gulf War, Nordic Journal of Psychiatry, Vol. 46, No. 5, 1992 .
- Amanda Sim, Lucy Bowes, and Frances Gardner, Modeling the Effects of War Exposure and Daily Stressors on Maternal Mental Health, Parenting, and Child Psychosocial Adjustment: A Cross-Sectional Study with Syrian Refugees in Lebanon, Global Mental Health, Vol. 5, 2018, Cambridge University Press .
- Amanda Sim, Lucy Bowes, and Frances Gardner, Modeling the Effects of War Exposure and Daily Stressors on Maternal Mental Health, Parenting, and Child Psychosocial Adjustment: A Cross-Sectional Study with Syrian Refugees in Lebanon, Global Mental Health, Vol. 5, 2018, Cambridge University Press .
- Arianna Barazzetti, Stefano Milesi, Francesca Giordano, Maria Chiara Noto, and Attà Negri, Family and Peer Support Facilitates Recall and Retelling of Traumatic Memories in War Refugee Children and Adolescents, International Journal of Environmental Research and Public Health, Vol. 22, No. 3, 2025 .
- Charlson, Fiona, Mark van Ommeren, Abraham Flaxman, Joseph Cornett, Harvey Whiteford, and Shekhar Saxena. New WHO Prevalence Estimates of Mental Disorders in Conflict Settings: A Systematic Review and Meta-Analysis, The Lancet 394, no. 10194, 2019 .
- Elsayed, Walaa, The Negative Effects of Social Media on the Social Identity of Adolescents from the Perspective of Social Work, Heliyon, Vol. 7, No. 2, 2021 .
- Girls Not Brides, "Iraq," Child Marriage Atlas, 2023 .
- Hoffman, F.G. Conflict in the 21st Century: The Rise of Hybrid Wars, Potomac Institute, America, 2007 .
- Internal Displacement Monitoring Centre (IDMC), Iraq Country Profile, Geneva, 2024.
- International Organization for Migration (IOM) and United Nations High Commissioner for Refugees (UNHCR), Update on Internal Displacement in Iraq.
- International Organization for Migration (IOM), Master List Report 134 .

- Jacqueline Parry, Yousif Khalid Khoshnaw, Siobhan O'Neil, and Juan Armando Torres Munguía, Coming Home: The Return and Reintegration of Families with Perceived ISIL Affiliation in Iraq, MEAC Findings Report No. 28, United Nations Institute for Disarmament Research (UNIDIR), Geneva, 2023 .
- Leiden University, How Adolescents Can Become Resilient to Digital Misinformation, 2025 .
- Mercy Corps, Towards Durable Solutions to Displacement: Understanding Social Acceptance of Returnees in Post-ISIS Iraq, 2021 .
- Mona S. Macksoud and J. Lawrence Aber, The War Experiences and Psychosocial Development of Children in Lebanon, Child Development, Vol. 67, No. 1, 1996 .
- Omran Omer Ali, Nazar Ameen Mohammed, and Aurélie Bröckerhoff, Demographic Change and Social Cohesion in Post-Islamic State Iraq, Middle East Policy, Vol. 32, No. 1, 2025 .
- Philip N. Howard, Lisa-Maria Neudert, Nayana Prakash, and Steven Vosloo, Digital Misinformation / Disinformation and Children, Rapid Analysis Report, UNICEF Office of Global Insight and Policy & University of Oxford, New York, August 2021 .
- Tamar Hadar, Parenting in the Face of Trauma: Music Therapy to Support Parent–Child Dyads Affected by War and Displacement, Children 11, no. 10, 2024 .

